المحاضرة السابعة:

مفهوم النظام الدولي والمفاهيم المقاربة له

مقدمة

يعد صلح وستفاليا محطة مفصلية في التاريخ، إذ طرحت خلاله قضايا محورية، أبرزها المسألة الدينية وقضية السيادة، وقد أفضى هذا الصلح إلى توقيع الممالك الأوروبية معاهدة أنهت الحروب الدينية، وأرست قواعد جديدة تتعلق برسم الحدود واحترامها، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، إلى جانب وضع أسس الدبلوماسية ومبدأ توازن القوى، وغيرها من المبادئ الحاكمة للعلاقات الدولية، ومنذ ذلك الحين بدأ تشكّل النظام الدولي الحديث في صيغ متعددة تراوحت بين التعددية والقطبية الثنائية والأحادية، وتجدر الاشارة أن النظام أحادي القطبية برز بعد حرب الخليج عام 1991، متزامنا مع انهيار الاتحاد السوفيتي، وسواءً تحدثنا عن نظام دولي قديم أو جديد، فإن أسسه الفلسفية كانت ولا تزال موضوع مناقشة ونقد؛ فلقد كان النظام الدولي الذي ساد في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى نهاية ثمانينيات القرن العشرين يستند إلى منظومتين فلسفيتين هما الماركسية والليبرالية، وبعد انهيار المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي تمددت الديمقراطية الليبرالية باسم النظام الدولي الجديد بوصفها (أفضل العوالم الممكنة) و(نهاية التاريخ).

التعريفات الهيكلية لمفهوم النظام الدولي

نستخدم أدبيات العلاقات الدولية مفاهيم فرعية تتم ترجمتها جميعا في اللغة العربية إلى النظام "الدولي" دون التمييز لمعانيها ومضامينها، وتتمثل هذه المفاهيم في:

1- **International relation:** وتعني بشكل دقيق مجموعة الضوابط القانونية والعرفية التي تعمل وحدات النظام وتتفاعل على أساسها، فهي تمثل "دستور العلاقات الدولية".
2- **International order:** ويحدد هذا المفهوم موقع الدولة في بنية النظام الدولي, بمعنى التسلسل الهرمي للنظام الدولي، فهل هي دولة عظمى، أو كبرى، أو مركز إقليمي، أو دولة صغرى، أو دويلة، وبناء عليه يتحدد موقع الدولة في سُلم القوى الدولي.

3- **International system:** يرتبط هذا المفهوم بطبيعة التفاعل بين الوحدات استنادًا إلى عدد القوى المركزية في النظام الدولي، والذي قد يكون أحادي القطب، ثنائي القطبية، متعدد الأقطاب، أو قائمًا على توازن القوى، كما قد يتخذ شكل "اللاقطبية" التي يعد ريتشارد هاس أبرز منظّريها، ويتحدد طابعه وفقًا لكون التفاعل سلميًا أو عسكريًا.

4- **International Structure:** ويشتمل على كل ما سبق من قواعد ناظمة للعلاقات الدولية، والتسلسل الهرمي للقوى (هيراركية القوى) وتوزيعها على سلم القوى والسمة العامة لتفاعلات الوحدات الدولية.

تعريف النظام الدولي

يستلزم أولاً تحديد معنى النظام ومعنى الدولي، تمهيدًا لعرض أبرز تعريفات المفكرين لمفهوم النظام الدولي:

مفهوم النظام: هو مجموعة القواعد والمعايير والأعراف التي تحكم العلاقات بين الجهات الفاعلة الاساسية في البيئة الدولية.

مفهوم الدولي: تنسب الدولي الى الدولة, وهى الكيان الفاعل الرئيس على المستوى الدولى، وهى تسمية تاريخية الأصل باعتبار أن الدولة من أقدم الكيانات الفاعلة فى المجتمع العالمى على صورته المعاصرة).

تناول العديد من المنظرين مفهوم النظام الدولي وقدم العديد منهم تعريفات منها:

تعريف جورج مودلسكي:النظام الدولي هو نظام اجتماعي، يرتكز إلى بنى هيكلية ووظيفية محددة، وتشمل نماذج متنوعة من تفاعلات سلوكية تحدد في التحليل الأخير السمة المميزة لأداء كل من تلك التفاعلات.

تعريف كينيث بولدينغ: النظام الدولي هو مجموعة من الوحدات السلوكية المتفاعلة التي تسمى أمماً أو دولاً والتي يضاف إليها أحياناً بعض المنظمات الفوق قومية مثل الأمم المتحدة"

ويمكن القول ان **النظام الدولي:** تجمع يضم وحدات سياسية مستقلة تتفاعل فيما بينها بتواتر معقول وفقاً لعمليات منتظمة، وتلعب القوة دوراً رئيسيا فى التفاعل بين هذه الوحدات.

مكونات النظام الدولي

يتألف نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية من الكثير من الأجزاء التي يعزز بعضها البعض، وتشمل تلك العناصر قوة الولايات المتحدة ووصايتها، ومجموعة المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة ومنظمة التجارة العالمية فضلا عن الكثير من المنظمات ذات الاختصاص بمجالات وقضايا معينة مثل الوكالة الدولية للطاقة المتجددة، ومجموعة من المعاهدات القانونية الدولية بداية من أنظمة التحكم في التسلح إلى قوانين الحرب.

ويندرج ما سبق تحت أربعة عناصر أساسية هي:

1- العناصر الاقتصادية: وتظم، المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل (منظمة التجارة العالمية، ومجموعة العشرين) ومعاهدات التجارة، والبنك الدولي وصندق النقد الدولي، والمنظمات غير الحكومية مثل الصليب الأحمر

2- العناصر السياسية والعسكرية: وتظم المؤسسات السياسية العالمية والإقليمية مثل (الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي) والتحالفات، مثل حلف الناتو، ومؤسسات الأمن الجماعي مثل الأمم المتحدة.

3- القانون الدولي، وحل المشكلات: وتظم, المعاهدات، والأعراف الدولية، وحقوق الإنسان، و المنظمات الفعالة ذات الصلة بقضايا محددة، مثل المحكمة الجنائية الدولية.

المفاهيم المقاربة للنظام الدولي

تعد المفاهيم المقاربة للنظام الدولي، مثل المجتمع الدولي، الحكومة العالمية، أدوات تحليلية تساعد على تفسير ديناميات العلاقات الدولية، إذ توضح الأبعاد التي لا يغطيها مفهوم النظام الدولي بمفرده، ومن هذه المفاهيم:

1- **الحكومة العالمية:** يعد الفيلسوف الانكليزي برتراند راسل من اكبر مؤيدي قيام حكومة عالمية، وقد رأى راسل ان السلام يمكن تحقيقه في حالة واحدة فقط، وهي تكوين حكومة عالمية ينضوي العالم كله تحت لواءها، وهذه الحكومة لها من الصلاحيات ما يفوق بكثير منظمة الأمم المتحدة،ويمكن تعريفها ايضاً بأنها: كيان سياسي يضع ويفسر ويطبق القانون الدولي للمحافظة على السلام والنظام الدوليين، وبإستعارة مفهوم (ماكس فيبر) للدولة القومية، يمكن تعريفها بإنها: نظام مؤسساتي يحكم الإقليم العالمي من خلال الارتكاز على نظام قانوني عالمي ساري المفعول، وتعمل الحكومة العالمية على ادارة وفرض النظام القانوني وتنفيذ السياسات والبرامج العامة.
2- **المجتمع الدولي:** تتسم العلاقات الدولية بغياب قانون مكتوب أو نظام رسمي شامل، إذ تُدار ضمن بيئة يحددها الفاعلون الدوليون وفق معادلات القوة وتوازناتها، ولا يقتصر هؤلاء الفاعلون على الدول والحكومات، بل يشملون المؤسسات الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، والمنظمات والشركات متعددة الجنسيات، فضلًا عن الأحزاب والجماعات المؤثرة والأفراد ذوي النفوذ ، **ويعرف المجتمع الدولي** بأنه منظومة متغيرة من وحدات متفاعلة، يرتبط بعضها ببعض في إطار حدود وأعراف وقواعد، ويشمل ذلك الدول المستقلة، التحالفات العسكرية والتجارية، والمؤسسات العالمية مثل الأمم المتحدة، إلى جانب فاعلين آخرين ذوي تأثير في مسار الأحداث الدولية.
3- **النظام العالمي:** يعبر عن النظام العالمي بأنه: أنماط من العلاقات تشكلت عبر الزمن بآليات ولاعبين كان هدفهم جعل التفاعلات الاجتماعية والسياسية عبر حدود الدول قابلة التوقع والادارة بما يشمل توزيع ورقابة على القدرات العسكرية والاقتصادية العالمية، أما هيدلي بول–Hedly Bull– فقد وصف النظام العالمي بانه: مجتمع الفوضى السياسية حيث خلافا للوضع داخل الدولة –

الامة–لاتوجد سلطة شرعية في قمة الهرم تمسك بزمام احتكار القوة مما يدفع الدول على تكديس القوة للدفاع عن نفسها.

وقد طرح مفهوم النظام الدولي عندما كانت الدول وحدها هي الفواعل في النظام وعندما توسعت البيئة الدولية لتضم فاعلين من غير الدول تحولت التسمية الى النظام العالمي.

وفي الختام يمكن القول إن النظام الدولي بناء متغير تشكل عبر محطات تاريخية بدءاً من صلح وستفاليا وصولاً إلى النظام أحادي القطبية بعد الحرب الباردة، وقد قدم المفكرون تعريفات متعددة له اتفقت جميعها على كونه ينظم تفاعلات الوحدات الدولية ضمن قواعد وأعراف محددة، كما ان المفاهيم المقاربة له كالمجتمع الدولي والحكومة العالمية والنظام العالمي، توضح أن دراسة النظام الدولي تستلزم النظر إليه كبنية معقدة تتجاوز الدول لتشمل فواعل اخرى مما يجعله مجالاً مفتوحا للتحليل واعادة تفسير متجددة.